

حياة أعظم الرسل

محمّد يدعو إلى عبادة الله وحده

مُحَمَّدٌ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ

كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ التَّدرُّجُ فِي الدَّعْوَةِ
إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ
الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ،
وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ . فَفِي الْبَدْءِ كَانَتْ
الدَّعْوَةُ سِرًّا ، ثُمَّ كَانَتْ بَيْنَ أَقْرَبِ النَّاسِ
إِلَيْهِ ، ثُمَّ صَارَتْ جَهْرًا (بِصَوْتِ
مُرْتَفِعٍ) إِلَى الْعَرَبِ خَاصَّةً ، وَإِلَى النَّاسِ
جَمِيعًا .

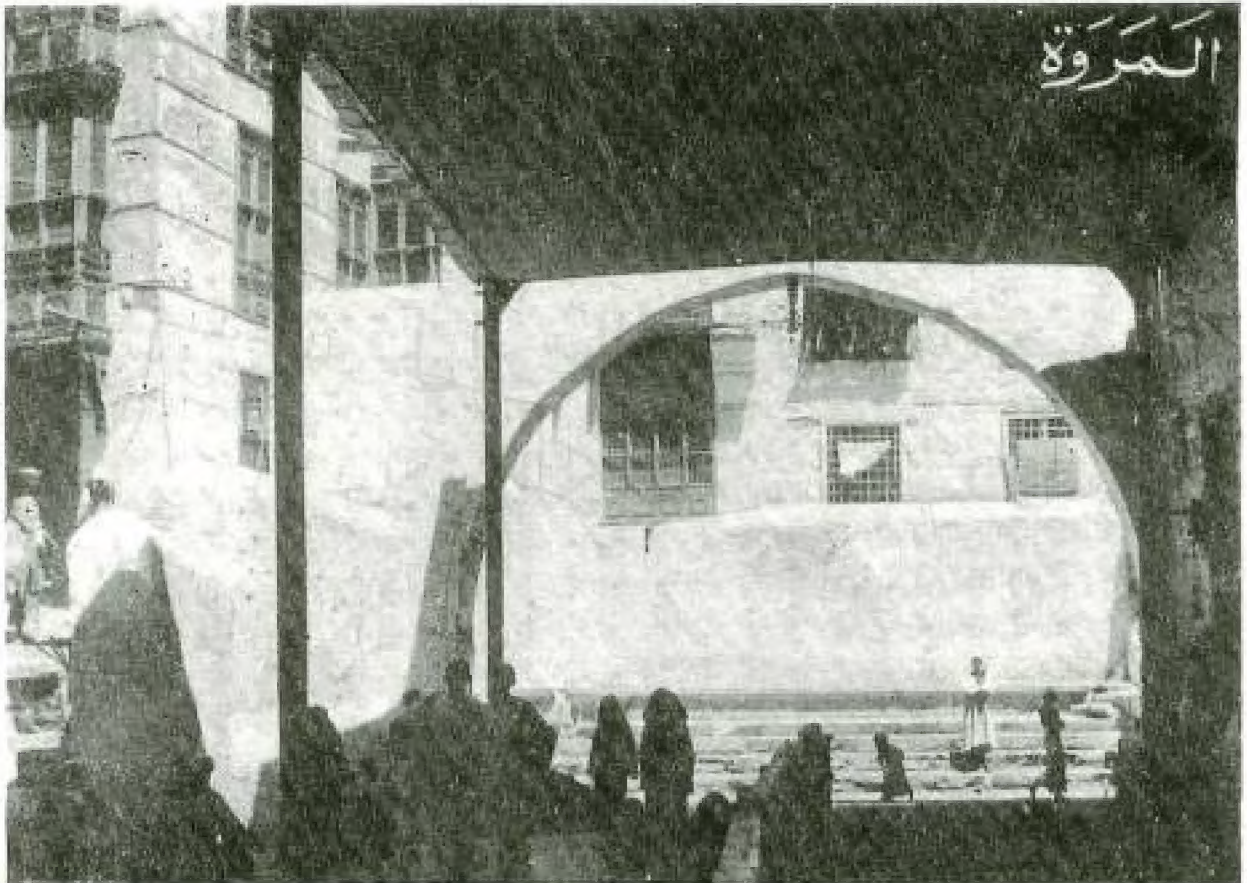
كَانَتْ الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ سِرًّا فِي الْبَدْءِ ،
خَوْفًا مِنْ مُفَاجَأَةِ الْعَرَبِ بِتَرْكِ دِينِهِمْ
وَدِينِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ ، فَيَصْعُبُ عَلَيْهِمْ
تَرْكُ مَا اعتادوه ، واعتناق الدين الحق ،
وَهُوَ الْإِسْلَامُ . وَلَيْسَ مِنَ السَّهْلِ تَرْكُ
الْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ إِلَّا بَعْدَ التَّمْهِيدِ لَهَا ،
وَالِإِقْتِنَاعِ بِتَرْكِهَا . فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي الْبَدْءِ لَا يَدْعُو إِلَّا مَنْ يَتَأَكَّدُ
مِنْهُ ، وَيَثِقُ بِهِ . فَالْمُصْطَفَى نَفْسُهُ كَانَ
أَوَّلَ مَنْ آمَنَ وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .
وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَةُ

الطَّاهِرَةُ خَدِيجَةُ ؛ صَدَّقَتْهُ فِي كُلِّ
مَا يَقُولُ ، وَسَاعَدَتْهُ ، وَعَاوَنْتَهُ .
وَحَفَفَتْ عَنْهُ آلامَهُ وَأَحْزَانَهُ ، فَكَانَ إِذَا
سَمِعَ شَيْئاً يَكْرَهُهُ قَامَتْ وَأَزَالَتْ
هُمُومَهُ ، وَهَوَّنَتْ عَلَيْهِ أُمُورَ النَّاسِ
الْمُعَارِضِينَ لَهُ .

وَكَانَ جَبْرِيلُ قَدْ عَلَّمَهُ الْوُضُوءَ
وَالصَّلَاةَ ، فَقَلَّدَتْ خَدِيجَةُ النَّبِيَّ فِي ذَلِكَ
كُلِّهِ . ثُمَّ جَاءَ ابْنُ عَمِّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ ، فَرَأَاهُمَا يُصَلِّيَانِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا
يَا مُحَمَّدُ ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ : دِينَ اللَّهِ الَّذِي

أَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ ، فَأَدْعُوكَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ
وَحْدَهُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ . فَأَسْلَمَ عَلِيُّ
وَعُمَرُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً . وَلَمْ يَسْجُدْ فِي
حَيَاتِهِ لِصَنَمٍ قَطُّ . وَلِهَذَا وَصَفَهُ
الْمُسْلِمُونَ بِقَوْلِهِمْ : كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ،
وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّبِيَّانِ .

ثُمَّ أَسْلَمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ عَبْدُهُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَقَدْ اشْتَرَاهُ ، ثُمَّ جَعَلَهُ
حُرًّا ، وَاتَّخَذَهُ ابْنًا لَهُ . وَأَسْلَمَتْ أُمُّ أَيْمَنَ
الَّتِي قَامَتْ بِحَضَانَتِهِ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهِ .



المَرْوَة

إِسْلَامُ أَبِي بَكْرٍ :

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ الْأَحْرَارِ :
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ . الَّذِي كَانَ صَدِيقاً
لِرَسُولِ اللَّهِ قَبْلَ الرِّسَالَةِ ، وَيَعْلَمُ مَا اتَّصَفَ
بِهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ ، وَالصِّدْقِ فِي
كُلِّ مَا يَقُولُهُ .

وَقَدْ كَانَ إِسْلَامُ أَبِي بَكْرٍ أَنْفَعَ مِنْ
إِسْلَامِ مَنْ سَبَقُوهُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُعَظِّماً فِي
قُرَيْشٍ ، وَرَأْساً مُكْرَماً ، غَنِيّاً كَثِيراً
الْمَالِ وَالْجَاهِ ، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ ، سَخِيّاً
كَثِيراً الْإِحْسَانِ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .

قَابِلَ أَبُو بَكْرٍ رَسُولَ اللَّهِ ، وَسَأَلَهُ :
لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّكَ تَرَكْتَ
آلِهَتَنَا . فَهَلْ هَذَا حَقٌّ ؟ فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ :
نَعَمْ ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَنَبِيُّهُ ، أَرْسَلَنِي
لِأُبَلِّغَ رِسَالَتَهُ ، أَدْعُوكَ يَا أَبَا بَكْرٍ إِلَى عِبَادَةِ
اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَاسْرِعْ أَبُو بَكْرٍ
بِالتَّصَدِيقِ ، وَقَالَ : (أَفْدِيكَ) بِأَبِي
أَنْتَ وَأُمِّي . أَهْلُ الصِّدْقِ أَنْتَ . أَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . وَكَانَ
أَبُو بَكْرٍ بِمَنْزِلَةِ الْوَزِيرِ لِرَسُولِ اللَّهِ ،
يَسْتَشِيرُهُ فِي كُلِّ أَمْرِهِ .

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُعَادِي كُلَّ مَنْ يُسْلِمُ
وَتُؤْذِيهِ ، وَتَكْرَهُ كُلَّ مَنْ يَتَّصِلُ بِالرَّسُولِ
أَوْ يُكَلِّمُهُ ، أَوْ يَجْلِسُ مَعَهُ . وَلَكِنْ حِينَمَا
أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ ،
وَدَعَا أَصْدِقَاءَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ .
وَكَانَ رَجُلًا مَحْبُوبًا فِي قَوْمِهِ ، سَهْلًا فِي
مُعَامَلَتِهِ . وَكَانَ أَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِمَا فِيهَا مِنْ
خَيْرٍ وَشَرٍّ . وَكَانَ تَاجِرًا أَمِينًا حَكِيمًا .
جَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ مَنْ
وَثِقَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ ، مِمَّنْ يَذْهَبُ إِلَيْهِ
وَيَجْلِسُ مَعَهُ . وَقَدْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ ثَمَانِيَةٌ

مِنْ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ وَكِبَارِهَا . فَذَهَبُوا إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ وَمَعَهُمْ أَبُو بَكْرٍ ، فَعَرَضَ
عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ الْإِسْلَامَ ، وَقَرَأَ أَمَامَهُمْ
شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ
الْإِسْلَامَ حَقٌّ فَاسْلَمُوا ، وَصَلَّوْا ، وَهُمْ
السَّابِقُونَ فِي الْإِسْلَامِ . وَكَانَ كُلُّ مِنْهُمْ
يُمَثِّلُ بَيْتاً مِنَ الْبُيُوتِ الشَّرِيفَةِ فِي قُرَيْشٍ ،
وَيُمَثِّلُ فِيهَا الْإِسْلَامَ ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ ، وَيُدَافِعُ
عَنْهُ . وَهُمْ النَّوَاةُ الْأُولَى الْقَوِيَّةُ لِلزَّابِطَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ . فَلَا عَجَبَ إِذَا اقْتَدَى النَّاسُ
بِهِمْ ، فَدَخَلُوا مَعَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ .

الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ جَهَارًا .

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَجْهَرَ (يَرْفَعَ
صَوْتَهُ) بِمَا جَاءَ بِهِ ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى
الْإِسْلَامِ جَهَارًا . فَقَالَ تَعَالَى :
﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ، وَأَعْرِضْ عَنِ
الْجَاهِلِينَ ﴾ أَيْ أَظْهِرْ دِينَكَ ، وَاجْهَرْ
بِهِ ، وَارْفَعْ صَوْتَكَ ، وَلَا تَهْتَمَّ
بِالْمُشْرِكِينَ . فَاطَّاعَ أَمْرَ اللَّهِ ، وَدَعَا
النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ ، وَوَاجَّهَهُمْ بِالْأَمْرِ
جَهَارًا ، لَا يَدْعُو أَحَدًا دُونَ آخَرٍ . ثُمَّ
أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَبْدَأَ بِأَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ ، فَقَالَ

تَعَالَى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشْرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ^(١) .
 وَاحْفَظْ ^(٢) جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ
 مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ . وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ
 قَامَ رَسُولُ اللَّهِ وَنَادَى الْأَقْرَبَ فَلَاقْرَبَ
 مِنْ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا
 لَهُ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : أَرَأَيْتَكُمْ (أَخْبِرُونِي)
 لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا مِنْ سَفْحِ (أَسْفَلِ)
 هَذَا الْجَبَلِ فَهَلْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي ؟
 قَالُوا : نَعَمْ ، كُنَّا نَصَدِّقُكَ ؛ لِأَنَّنَا لَمْ

(٢) تَوَاضَعٌ .

(١) أَهْلَكَ الْأَشَدَّ قَرَابَةً .

نُجْرِبُ عَلَيْكَ كَذِبًا . قَالَ : فَإِنِّي نَذِيرٌ^(١)
لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ . فَقَالَ أَبُو
لَهَبٍ : تَبًّا (هَلَاكًا) لَكَ . هَلْ جَمَعَتْنَا
مِنْ أَجْلِ هَذَا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ تَبَّتْ^(٢) يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ^(٣) .
مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ^(٤) وَمَا كَسَبَ^(٥) .
سَيَصْلَىٰ^(٦) نَارًا ذَاتَ^(٧) لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ^(٨)
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا^(٩) حَبْلٌ مِنْ
مَسَدٍ^(١٠) ﴾ . وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ أَعْدَاءِ

(١) نَذِيرٌ لِلْكَافِرِينَ بِالنَّارِ . (٢) هَلَكْتَ وَخَسِرْتَ . (٣) هَلَكْتَ .
(٤) لَمْ يَنْفَعُهُ مَا جَمَعَهُ مِنْ مَالٍ . (٥) فَشَلَّ فِي مَحَارِبَةِ النَّبِيِّ . (٦) يَدْخُلُ النَّارَ .
(٧) ذَاتَ شِدَّةٍ وَحَرَارَةٍ . (٨) تَحْتَرِقُ أَيْضًا . (٩) كَانَتْ وَاشِيَةً غَامَةً تَوْقُدُ نَارَ
الْفِتْنَةِ وَالْعَدَاوَةِ بَيْنَهُمْ (١٠) عُقْبَاهَا (١١) إِظْهَارُهَا بِصُورَةٍ مُسْتَبْشَعَةٍ .

رَسُولِ اللَّهِ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ أُمُّ
جَمِيلٍ . ثُمَّ اسْتَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَيْلاً وَنَهَاراً ،
سِرّاً وَجِهَاراً ، لَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ ،
وَلَا يُرُدُّهُ أَحَدٌ ، يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي
مُجْتَمَعَاتِهِمْ ، وَفِي الْمَوَاسِمِ وَمَوَاقِفِ
الْحَجِّ ، يَدْعُو كُلَّ مَنْ قَابَلَهُ إِلَى الْحَقِّ ،
مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقَةٍ بَيْنَ حُرٍّ وَعَبْدٍ ، وَقَوِيٍّ
وَضَعِيفٍ ، وَغَنِيٍّ وَفَقِيرٍ ، وَقَرِيبٍ
وَبَعِيدٍ . جَمِيعُ الْخَلْقِ فِي ذَلِكَ عِنْدَهُ
مُتَسَاوُونَ .

مُعَارَضَةُ قُرَيْشٍ لِلرَّسُولِ :

عَارَضَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللَّهِ كُلَّ
الْمُعَارِضَةِ ، وَآذَتْهُ كُلَّ الْإِذَاءِ ، فَعَطَفَ
عَلَيْهِ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ ، وَوَقَفَ بِجَانِبِهِ ،
وَدَافَعَ عَنْهُ . وَلَمْ يَشُدَّ عَنْ أَسْرَتِهِ
(عَائِلَتِهِ) إِلَّا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ وَكَانَ أَكْبَرَ
عَدُوِّ لَهُ . وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي آدَاءِ رِسَالَتِهِ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهَا ،
وَلَمْ يُبَالِ بِأَيِّ مُعَارِضَةٍ أَوْ إِذَاءٍ . وَاسْتَمَرَ
يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ بِعَقِيدَةٍ رَاسِيخَةٍ ،
وَإِيمَانٍ قَوِيٍّ ، لَمْ يَرُدَّهُ عَنِ الدَّعْوَةِ أَيُّ

قُوَّةٍ فِي الْعَالَمِ . وَقَدْ أُودِيَ مِرَارًا بِكُلِّ
أَنْوَاعِ الْإِيذَاءِ ، وَلَكِنَّهُ صَبَرَ صَبْرًا
جَمِيلًا ، حَتَّى نَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ
وَمُعَارِضِيهِ . وَصَدَقَ مِنْ قَالَ : ﴿ إِنَّ
تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ
أَقْدَامَكُمْ ﴾ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ
وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ .